الفصل الرابع

"طرق الحج اليمنى والعُمانى – مكة المكرمة"

obeikandl.com

obeikandl.com

طريق الحج اليمنى :

تتواصل العلاقات بين مكة واليمن منذ القدم من خلال طريق قديم ، كان هو ذاته طريق الحج ، يبدأ هذا الطريق من صنعاء مروراً بصعدة، ويسلك المناطق الجبلية لمنطقة عسير، والحجاز ماراً بالقرب من موقع جُرش، ثم يتجمع إلى بيشة، وتَبَالَةَ، وتُربة، حتى يصل قرن المنازل، فمكة المكرمة.

وقد بلغت المحطات على هذا الطريق فيما بين صنعاء ومكة ٢٥ محطة رئيسة، وكشفت الاستطلاعات، والدراسات الأثرية، عن جوانب مهمة تتمثل في الأعمال الهندسية، من رصف للطريق في المناطق الوعرة، والمنشآت المائية، والكتابات الإسلامية الصخرية المبكرة، وأحجار المسافة، ومن المناطق التي يمكن فيها مشاهدة آثار هذا الطريق منطقة الراكبة، والمصلولة، وكريف العلب"[٩٦]".وقد أوضحت السنة النبوية المشرفة ذلك ، فعن خبَّابِ بن الأَرَتِّ قال:(شكونا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لهُ في ظلِّ الكعبةِ ، قلنا لهُ : ألا تستنصرُ لنا ، ألا تدعو اللهَ لنا ؟ قال : (كان الرجلُ فيمن قبلكم يُحْفَرُ لهُ في الأرضِ ، فيُجْعَلُ فيهِ ، فيُجاءُ بالمنشارِ فيُوضَعُ على رأسِهِ فيُشَقُّ باثنتيْنِ ، وما يصدُّهُ ذلك عن دينِهِ . ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لحمِهِ من عظمٍ أو عصبٍ ، وما يصدُّهُ ذلك عن دينِهِ ، واللهِ ليُتِمَّنَّ هذا الأمرُ ،

---

96 - - أجرى الباحث. محمد بن عبد الرحمن راشد الثنيان من جامعة الملك سعود، كشفاً أثرياً للطريق القديم الذي يصل صنعاء بمكة، وبينَّ الكشف أن الطريق الذي استخدم في الأزمنة القديمة للتجارة، هو الطريق ذاته الذي استخدمه الحُجَّاج اليمنيون بعد الإسلام للوصول إلى مكة، وأوضح الثنيان في كتابه الذي أصدرته وكالة الآثار السعودية في سنة ١٤٢٠هـ، أن درب الحُجَّاج يخترق أراضي مستوية في الجانب اليمني، بينما يمر ببعض التضاريس الوعرة في الجانب السعودي عند جبال السروات، وحرَّة البقوم.

حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتٍ ، لا يخـــافُ إلا اللهَ ، أو الذئبَ على غنمِهِ ، ولكنكم تستعجلونَ)"[٩٧]" . وعن أنس بن مالك أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال:(ما بينَ ناحِيَتَي حَوْضِي كما بيْنَ صـــنعاءَ والمدينةِ ، أوْ كما بيْنَ المدينَةِ وعمَّانَ ، تَرَى فيه أباريقَ الذهبِ و الفضةِ كعددِ نجومِ السماءِ ، أوْ أكثرَ)"[٩٨]".

استمر الاتصال بين اليمن والحجاز منذ العصور القديمة، وتعددت طرق الحج اليمنية، واختلفت مساراتها، وتعددت كذلك المدن التي تسير منها، ولعل أهم العواصم اليمنية التي كانت تنطلق منها جموع الحجاج اليمنيين إلى مكة هي: عدن، وتعز وصنعاء وزبيد وصعدة في شمال اليمن ، وكانت بعض مسارات تلك الطرق يلتقي بعضها ببعض في نقاط معينة، مثل طريق تعز زبيد، وطريق صنعاء الداخلي إلى صعدة.

المحمل اليمني :

من المظاهر الدينية التي كانت تهتم بها الدول المركزية التي ظهرت على مسرح اليمن السياسي في العصور الوسطى الإسلامية أيما اهتمام هو المحمل اليمني ، وهو قافلة الحجاج التي تخرج من زبيد وتعود إليها بعد انتهاء شعيرة الحج . وكانت الدولة الأيوبية ، والرسولية والطاهرية تبذل قصار جهدهم من أجل أنّ يخرج المحمل اليمني إلى الأراضي المقدسة بهيئة جميلة ، وفخمة ، فكانت فتزود قافلة الحجاج بالزاد والماء وتعمل على السهر على راحتهم فتبعث معهم الجنود لحراستهم ، ويبدو أنّ المحمل اليمني في تلك الفترة يعد رمز من رموز هيبة وقوة الدولة

---

97 – رواه البخارى .

9898 – صحيح الجامع .

ورخائها من ناحية وجذب الناس حولها بسبب احترامها العميق للمحمل اليمني ، أي العناية بقوافل الحجاج .

في عهد العثمانيين:

وعندما فتح العثمانيون اليمن سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨م ، أي في الفتح العثماني الأول لليمن ، فقد أولى الكثير من الولاة العثمانيين في اليمن اهتمامهم وعنايتهم بالمحمل اليمني على غرار الدولتين الرسولية[٩٩] والطاهرية . وقد أسهبت المراجع المعاصرة وقتذاك في وصف العناية الفائقة من الولاة العثمانيين الذين كان البعض منهم يتعمد أنّ تنطلق قافلة

---

[99] -حيث تميز حكم بني رسول الطويل الأمد ــ بغض النظر عن التاريخ السياسي الحربي ــ بكثير من الإنجازات المهمة في ميدان العلم والتجارة والزراعة والطب، فقد بنوا المدارس الكثيرة وأجزلوا العطاء للعلماء وكان كثير من ملوك بني رسول علماء وشعراء وأصحاب رأي ومؤلفي كتب في فروع المعرفة المختلفة، ولا تزال مدينة تعز إلى يومنا هذا تتزين بمنجزاتهم العمرانية كجامع المظفر وجامع الأشرفية و مدرسة الأشرفية وحصن تعز المسمى الآن قاهرة تعز، بالإضافة إلى آثار المدارس الفقهية، وفي زمانهم برز العلماء والشعراء في كل فن، وهو سر الإعجاب المتزايد بالدولة الرسولية، التي أخذت في الآونة الأخيرة تلقى من المؤرخين والدارسين عموماً اهتماماً نرجو أن يكلل بدراسات مستفيضة تليق بمآثر الرسوليين في تاريخ اليمن الوسيط، ولعل أبرز ما يشير إلى سطوع نجم الدولة الرسولية وتبوؤها مكاناً لائقاً بين أمم عصرها تلك الرسالة التي وجهها مسلمو الصين إلى الملك المظفر يشتكون من تعسف ملك الصين ومنعهم من ختان أولادهم كما يطلب منهم الدين الإسلامي، فمجرد توجيه هذه الرسالة إلى الملك المظفر تفيد أن مسلمي العالم كانوا يرون في الملك الرسولي خليفة للمسلمين يتوجهون إليه بالشكوى، وقد تصرف الملك المظفر بما يتفق ومكانته في نفوس مسلمي الصين، إذ بعث إلى ملك الصين برسالة يطلب فيها منه السماح لمسلمي الصين بممارسة واجب الختان لأبنائهم وبعث إليه بهدية تليق بمقامه، فرفع ملك الصين الحضر على ختان المسلمين لأبنائهم، وهو ما يشير إلى تقدير ملك الصين لمكانة الدولة الرسولية خاصة وأن ملوك الصين المعاصرين للدولة الرسولية قد عدوا أنفسهم سادة على العالمين وأن غيرهم من ملك أو سواه إنما هو عبدٌ لهم كما تبين رواية بهذا المعنى تصف مقابلة وفد بلاد الصين للملك الناصر الرسولي .

الحجاج أو المحمل اليمني من زبيد"[100]" إلى جيزان مخترقة العديد من المناطق والمدن اليمنية الهامة ، وعند عودة المحمل اليمني من الأراضي

---

100 – قال ابن بطوطة بعد خروجه من مدينة السرجة اليمنية: ثم وصلنا إلى مدينة زبيد، وهي مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها، ولا أغنى من أهلها، واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره. وهي برية لا شطية إحدى قواعد بلاد اليمن "وهي بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة " مدينة كبيرة كثيرة العمارة، بها النخل والبساتين والمياه، أملح بلاد اليمن وأجملها، ولأهلها لطافة الشمائل وحسن الأخلاق وجمال الصور، ولنسائها الحسن الفائق الفائت، وهي وادي الخصيب الذي يذكر في بعض الآثار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ في وصيته: "يا معاذ إذا جئت وادي الخصيب فهرول". ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة، وذلك لأنهم يخرجون في أيام البسر والرطب في كل سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة أحد من اهلها ولا من الغرباء، ويخرج أهل الطرب أهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات، وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل، ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائق، الأخلاق الحسنة والمكارم. وللغريب عندهن مزية، ولا يمتعن من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا. فإذا أراد السفر خرجت معه وودعته، وإن كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له إلى ان يرجع أبوه، ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها. وإذا كان مقيماً فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة. لكنهن لا يخرجن عن بلدهن أبداً، ولو أعطيت إحداهن ما عسى أن تعطاه على أن تخرج من بلدها لم تفعل. وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق. لقيت بمدينة زبيد الشيخ العالم الصالح أبا محمد الصنعاني، والفقيه الصوفي المحقق أبا العباس الإبياني، والفقيه المحدث أبا علي الزبيدي. ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت حدائقهم، واجتمعت عند بعضهم بالفقيه القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن. ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن العجيل اليمني، وكان من كبار الرجال وأهل الكرامات. قال التازي: زَبيد، (بفتح الزاي المدينة، وبضمها القبيلة) ترجع المدينة للعصر الوسيط، أسسها محمد بن عبد الله ابن زياد الأموي بأمر سلطانه عبد الله المأمون بن هارون الرشيد عام ٢٠٤=٨٢١م وأن أهم ميناء زبيد كان هو (غلافقة) على بعد ٢٥ ميلاً شمال غرب المدينة، وفي سنة ٨٢٢ أسس الملك الناصر أحمد الرسول ميناء الفازه فضعفت (غلافقة) ثم تعرضت للدمار في القرن العاشر الهجري وتعتبر زبيد عاصمة للسهول اليمنية التي تحتضن أهل السنة وتقابل النجود العليا التي يستقر فيها الشيعة الزيدية. والتي

المقدسة (مكة والمدينة) تسلك نفس الطريق الذي ذهب به إلى الحج . والجدير بالذكر ، أنّ زبيد كان نقطة بداية ونهاية المحمل اليمني .

أهداف سياسية :

والحقيقة أنّ العناية بالمحمل اليمني لم تظهر بصورة ملحوظة وواضحة إلا على يد بعض الولاة والموظفين الكبار العثمانيين الذين كانوا في مصر ، وعندما تولى هؤلاء شؤون اليمن ، فنهجوا نفس نهجهم في العناية بالمحمل اليمني على غرار المحمل المصري بمصر الذي كان يتميز الفخامة والضخامة ، والأبهة ، وكان يشيع من القاهرة المعزية وسط الاحتفالات الكبيرة بلاد الحجاز (مكة والمدينة) . ويذكر بعض الباحثين المحدثين أنّ المحمل اليمني ، كان يزداد العناية به عندما ، كانت تنفجر القلاقل والاضطرابات كالثورة التي قادها الإمام القاسم وأبنائه ضد العثمانيين والتي أدت إلى خروجهم من اليمن سنة (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) . وهذا ما دفع بالوالي حسن باشا الوزير أثناء تلك الثورة أنّ يعطي صورة مشرقة للمحمل اليمني لتعكس هيبة وقوة الدولة العثمانية في نفوس اليمنيين وأنها مازالت قادرة على فرض قبضتها على زمام البلاد والعباد في تلك الفترة التي سادت بها التمردات . وتذكر المراجع المعاصرة وقتذاك أنّ الوالي العثماني في اليمن مصطفى باشا النشار ، كان له السبق في ظهور المحمل اليمني " في عهد حكم السلطنة العثمانية

تعتبر صنعاء عاصمة لها. وقال: يظهر أن ابن المجاور لم يكن متفقاً مع ابن بطوطة حول الحُسن الفائق الفائت فقد وجدناه في كتابه صفة اليمن ص ٢٤٦ يقسم بالله الرحمن الرحيم أنه ما رأى في جميع اليمن سهلها وجبالها وجهاً حسناً.. ما ترى إلا عجائز سوء...!! وأعتقد أن ظروف الرجلين كانت تختلف فتنوعت لذلك الآراء! هذا ولا يخفى ما في الأثر الشريف من دعابة لمبعوثه مُعاذ بن جبل الذي نعرف عن مكانته لدى الرسول عليه الصلوات!

بسبب أنه كان ، قائدًا لقافلة الحج المصري لعدة سنوات قبل أنّ يتولى أمر اليمن ""[١٠١]"" .

أهم دروب احج اليمنية :

واشتهر من طرق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة ثلاثة طرق شكل (٦) هي: الطريق الساحلي والطريق الداخلي أو الأوسط، والطريق الأعلى ، ولكل منها مساراته ومحطاته ومتاعبه التي عانى منها الحجاج قرونًا طويلة.

الطريق الساحلي :

يمر بجوار البحر محاذيًا له من الشرق، ويبدأ من عدن فأبين، مرور بالمخنق، فإلى عارة، ثم عبرة، فالسقيا، فباب المندب، فسماري، ثم الخوخة والأهواب، وغلافقة، وهي فرضة زبيدة، ثم نبعة، فالحردة، ثم الزرعة، ثم الشرجة وهي أولى مراحل طريق الحج اليمني الساحلي التي تقع في أراضي المملكة العربية السعودية.

ويسير الطريق من الشرجة إلى المفجر، فإلى القنيدرة، ثم عثر، ثم بيض، ثم الدويمة، ثم حمضة، ثم ذهبان، ثم حلين ثم قرما، فدوقة، إلى السرين، وهي ملتقى طريق الساحل مع طريق الداخل، ومنها يفترقان أيضًا كل في جهته، حيث يسير الساحلي صوب الليث فالشعيبة إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة.

---

101 – السيد مصطفى سالم ، الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ – ١٦٣٥، جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤، ص ص٢٢١-٢٢٦ .

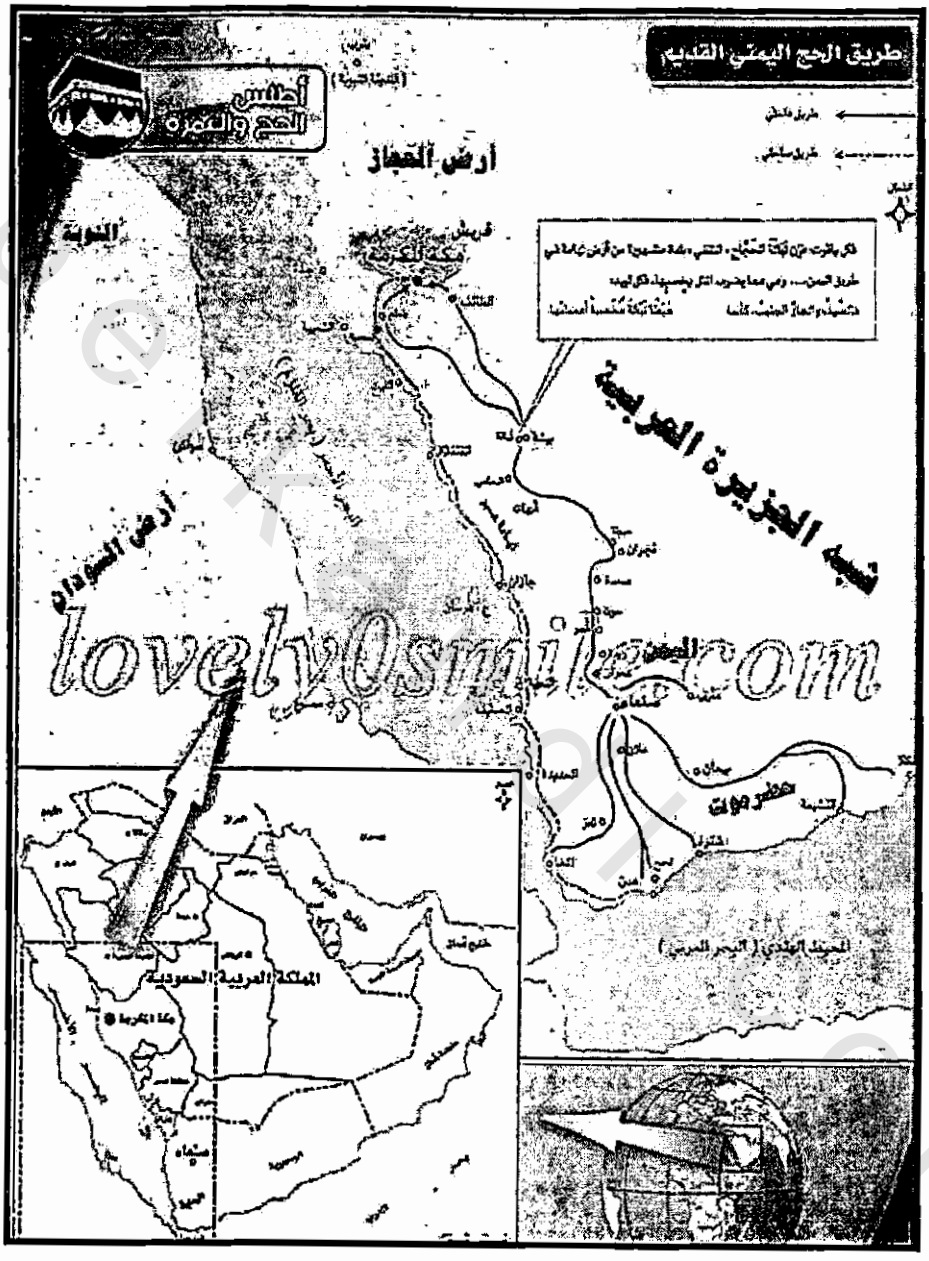

شكل (٦) طريق الحج اليمنى

الطريق الداخلي:

ويعرف باسم تهامي أيضًا ويعرف باسم الجادة السلطانية ويبدأ من تعز، ويمر بذات الخيف، فموزع، ثم الجدون، ثم حيس، ثم زبيد، إذ تتجمع فيها القوافل التي تسلك طريق الجادة السلطانية، ومنها تنطلق في سيرها إلى مكة المكرمة مارة بفشال والضنجاع، والقحمة، والكدراء والمهجم، ومور، والواديين، والساعد، وتعشر، وجازان، والهجر، وبيش، إلى ضنكان، ومنها يتجه الطريق إلى المقعد فحلي العليا، ثم يبه، ثم قنونا، ثم عشم، ثم دوقة فإلى السرين حيث يلتقي بالطريق الساحلي، ومنها يفترق في مساره الداخلي إلى الليث، فالخضراء، ثم سعيا، فيلملم ميقات أهل اليمن حتى مكة المكرمة.

الطريق الأعلى :

يعرف باسم الطريق الجبلي وهو أشهر الطرق اليمنية، ومركز انطلاقه صنعاء ، وكانت صنعاء فى ذلك الوقت عاصمة للدولة الصليحية ، وكان يخرج منها طريق آخر قيلتقى مع الطريق الوسطى عند المهجم ، وهو الطريق الذى سلكه على بن محمد الصليحى سنة ٤٥٩هـ فى حجته التى قتل فيها على يد ابن نجاح"[١٠٢]" ، ويتجه الطريق إلى صعدة، ومنها إلى

---

[102]- هو سعيد بن نجاح من بنى نجاح ، نسبة إلى دولة بني نجاح: ٤٠٣ ــ ٥٥٥ هـ/١٠١٢ ــ ١١٦٠م ، بنو نجاح أسرة حبشية ينسبون إلى الأمير نجاح أحد موالي بني زياد، أعلن نفسه سلطاناً على تهامة بعد زوال نفوذ الأسرة الزيادية، واتصل بالخليفة العباسي معلناً دخوله في طاعته، فأجازه الخليفة، ولقبه بالمؤيد نصير الدين. لم يكن بنو نجاح أقل عراقة من العرب، وصفهم نجم الدين عمارة اليمني فقال: «لم يكن ملوك العرب يفوقونهم في الحسب، فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة والمفاخر المأثورة وفيهم فضلاء وعلماء». كانت عاصمتهم زبيد، من أشهر سلاطينهم سعيد بن نجاح الملقب بالأحول. جرت بينه وبين الصليحيين معارك عديدة أهمها معركة المهجم التي قتل فيها علي

العرقة، ثم المهجرة، ثم أرينب، ثم سروم الغيض، ثم الثجة، ثم بيشة ومنها إلى تبالة، فالقريحاء ثم كرى، ثم تربة، ثم الصفن، ثم العنق، ثم رأس المناقب، وهي منتهى الطريق في اتجاه الشمال، وينحرف في سيره صوب الغرب إلى قرن المنازل(١٠٣) ، وهو ميقات أهل اليمن الذين يمرون من تلك الجهة، ويتجهون محرمين صوب مكة مجتازين الزيمة، والطائف عن طريق السيل(١٠٤)

الطريق المفضل:

أهم الطرق التي كانت مفضلة لدى الحجاج بيت الله الحرام القادمين من طريق اليمن الطريق الذي يمر بشمال اليمن ويخترق منطقة عسير الجبلية إلى أن يصل إلى الطائف، ثم إلى مكة المكرمة ، وعلى الرغم من

بن محمد الصليحي سنة458 هـ/١٠٦٥م، وأسرت زوجته السيدة أسماء بنت شهاب. ومعركة الشعر سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م التي انتهت بمقتل سعيد بن نجاح، وأسرت زوجته أم المعارك في خبر طريف. بلغ عدد ملوك هذه الدولة سبعة، آخرهم فاتك بن محمد، تقلد الحكم سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وكان ضعيف السلطان فتعرضت مناطق نفوذه لهجمات متكررة من قبل بني المهدي الحميري الذين طالت هجماتهم مدينة زبيد مما دفع الأهالي إلى مكاتبة الإمام الزيدي أحمد بن سليمان، فتصدى لآل المهدي، لكنه مالبث أن استولى على زبيد بعد مقتل السلطان فاتك، وبمقتله قضي على تلك الدولة.

103 – قرن المنازل ويسمى الآن السيل الكبير، وموقعة شمال مدينة الطائف ويبعد عنها ٥٥ كم ويبعد عن مكة المكرمة ٧٥ كم. ميقات قرن المنازل هو ميقات أهل نجد ومن أتى عليها. عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: وقت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم فقال: ((هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج أو العمرة فمن كان دونهن فمهله من أهله وكذلك حتى أهل مكة يهلون منها)). (رواه البخاري ومسلم).

104– العمرى ، ابن فضل الله ، مسالك الأبصار ، قسم اليمن ، تحقيق / أيمن فؤاد السيد ، طبع القاهرة ، ص ٤٤ .

أن الطريق يجتاز مناطق ذات طبيعة تضاريسية صعبة، إلاّ أنـــه كـــان مفضلاً للحجاج وغيرهم لأنه يمر عبر أراضٍ خصبة دائمـــة الخـــضرة وقرى وبلدات تتوافر فيها المياه ويكثر بها الغذاء.

قافلة الحج اليمني:

تضم حجيج اليمن والهند وماليزيا وإندونيسيا، وينضم إليهم حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الذين يصلون إلى مصوع، وسواكن، وموانئ اليمن من مسالك الحاج الإفريقي من الغرب الأوسط والتى مركزها تمبكتو([105]) ووسط إفريقيا إلى الديار المقدسة . كانت القوافل تضم عناصر مختلفة؛ ففيها الأمراء، والأثرياء، والتجار ومعهم تجاراتهم،

---

105 – – جاء تأسيس مدينة تمبكتو في القرن الخامس الهجري (أي القرن الحادي عشر الميلادي) على يد جماعة من الطوارق كانت تُعرف بـــ" طوارق مقشرن"، وهم مجموعة كانت تعيش في هذه المنطقة بين مدينة يقال لها أروان في إقليم السودان الغربي، على بُعد حوالي ٤٥٠كيلو متراً من موقع تمبكتو، فتأسست تلك الجوهرة الإسلامية لكي تكون محطةً للمتنقّلين في الصحراء؛ حيث ساعدت الطوارق على التنقُّل بين منطقتهم وأروان التي كانوا يرحلون إليها في الخريف، فكانت بالفعل عاصمة الصحراء. – بدأت تمبكتو بلفت الأنظار إليها كمركز إشعاع علمي بعد رجوع ملك المنديغ "منسا موسى" من رحلة الحج الشهيرة التي قام بها عام ١٣٢٥م، ووزع في طريقه إليها آلافاً مؤلفة من سبائك الذهب، خاصة في القاهرة؛ مما تسبب في هبوط أسعار الذهب، وقد أمر السلطان الشاعر الغرناطي الملقب بالسهيلي بتصميم جامع كبير، والإشراف عليه (هو جامع تمبكتو القائم إلى يومنا هذا)، وكانت تلك النواة الأولى لبناء صرح علمي في تمبكتو، حيث صار مع مرور الأيام مركزاً للعلم، خاصة وبعد تبرع امرأة من سركولو (إحدى القبائل المالية) ببناء جامع آخر فيما بعد، وقد ازدهر العلم مع تقاطر الطلبة من شمال وغربي إفريقيا على تمبكتو، وقد ساعد على ذلك الإنفاق السخي الذي قام به التجار على دور العلم فكان أروع تزاوج بين المال، والمعرفة في عروس الصحراء، إذ وصل عدد المدارس في ذلك الوقت ١٨٠ مدرسة، تضم أكثر من ٢٥،٠٠٠ طالب، كما وصل مستوى التعليم فيها إلى نفس المستوى الذي وصل إليه في قرطبة، وتلمسان، والقاهرة.

والفقراء، والمعدمون الشكل (٧) . وكان كلٌّ حسب قدرته يرافق القافلة، ففيها الهودج وفيها الجمال والخيول، وفيها الرجالة من البدو والفقراء.

وقد كان الولاة يقومون باستئجار الجمال والخيول لحمل مهمات القافلة، ويتعاقدون على ذلك قبل موسم الحج بوقت كافٍ، ويتفقون على ذلك مع مشايخ الأعراب والبدو الذين يعيشون في المناطق التي تسلكها القوافل.

كانت قافلة الحجاج تخرج وسط احتفال مشهود من لحج إلى يكرد، ثم تعز، ثم وادي الحسنا، ثم تنزل القوافل إلى «حيس»، وكان المحمل اليمني يخرج من عدن عندما كانت تحت الإدارة العثمانية، ومنذ سنة ٩٦٣هـ بدأ الوزير مصطفى باشا والي اليمن في تنظيم موكب المحمل الشريف باسم محمل صنعاء اليمن على إثر صدور فرمان له بهذا الصدد([١٠٦]).

يتحرك الموكب من حيس إلى زبيد فرفع، ومنها إلى بيت العقبة الصغير، ومنها إلى قطيع، ثم المنصورية، ثم يتابع الموكب سيره في الطريق المعهود. أمّا حجاج شحر فإنهم يتجهون إلى حضرموت براً، ثم إلى صنعاء، ثم ينضمون هناك إلى قافلة صنعاء، ويتجهون سويّاً إلى مكة المكرمة، ومن شَحر إلى حضرموت خمسة منازل، ومنها إلى صنعاء أربعة منازل. وعلى حجاج ظفار الذين يودون الاتجاه إلى صنعاء برّاً أن يقطعوا خمس عشرة مرحلة سيرًا، ثم ينضمون إلى جموع الحجيج التي احتشدت هناك لمواصلة السير سويًّا ([١٠٧]) .

---

[106]– المقريزى ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، الجزء الأول ، ص ١٨٦ .

[107] – في كتاب صدر عن «وكالة الآثار السعودية» للباحث السعودي محمد عبدالرحمن راشد الثنيان ، جامعة الملك سعود.

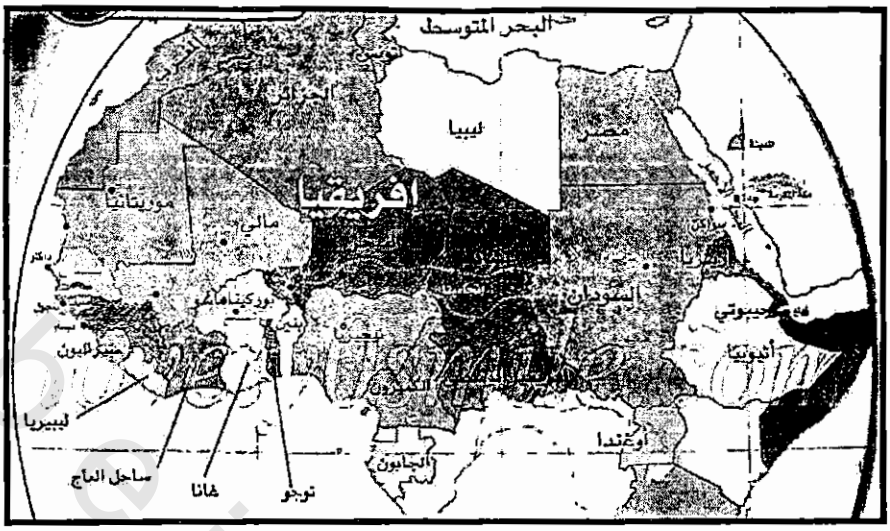

شكل (٧) طريق الحج الأفريقى الممتصل بالدروب اليمنية .

ولم يكن الطريق اليمنى أحسن حالاً من الطريقين السابقين من حيث الصعوبة والخطورة ، فقد تربصت القبائل المسيطرة على هذا الطريق بالحجاج اليمنيين ، وفرضت عليهم الإتاوات الباهظة ، فكان ينوب كل جمل يخرج من مدن اليمن مثل تعز أو زبيد حتى يصل إلى مكة المعظمة مائة درهم سواء كان حاجاً أو تاجراً أو معه شيء أو لا شئ معه ، وكانت قبيلة بنى شعبة التى تسكن جنوب مكة وتنتشر بصورة خاصة فى وادى أوام وما حولها حتى وادى الخضراء ، من أشد القبائل خطورة على الحجاج القادمين من اليمن ، وقد تمادى الشعبيون فى نهب الحجيج ، واعتمدوا من الوجهة الاقتصادية حتى أسموه "جفنة الله" فكانوا يقولون : إذا حضر جفنة الله "الحاج" أكل منه الصادر والوارد وأخذ الشعبيون يعتمدون على الحجاج وينهبونهم فى بعض المشاعر حتى لقد تعذر عليهم المبيت بمنى يوم التروية ، بل أخذوا يتجاوزونها إلى عرفات ، كما كانوا يتعجلون العودة إلى مكة المكرمة من منى فى اليوم الثانى من أيام

التشريق ، وحتى بعد انتقالهم إلى منازلهم الجديدة فى درب ملوح الـذى عرف فيما بعد باسم درب بنى شعبة ، وسلم لذلك الحجاج فى مكة مـن شرهم ، فإنهم كانوا يسيطرون على جزء من الطريق اليمنى ، والظاهر أنهم اختاروا هذا لممارسة نشاطهم ضد حجاج اليمن بعيداً عـن أعـين الحكومات القومية التى قامت بمكة فيما بعد[١٠٨] .

وفى ظل هذه المخاطر لاقى هذا الطريق اهتمامات عدة مـن قبـل المسئولين ، فقد تولى الحسين بن سلامة[١٠٩] الوزير فى بـلاط الدولـة الزيدية أواخر القرن الرابع الهجرى تأمين طريق الحج اليمنى ، فأنـشأ الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة ، ولما حـج على بن محمد الصليحى سنة ٤٥٥هـ قام ببعض الإصلاحات فى طريق مكة ، وعمل على تذليل الصعوبات التى كانت تعترض ركب الحجيج ،

---

108 – محمد بن احمد العقيلى ، قبيلة بن شعبة ، مجلة العرب ، جماديان سنة ١٣٩٤هـ ، حـ ١١ ، ١٢ ، ص ٨٩٢.

109– أسهم الحسين بن سلامة الولي الجديد في الكثير من المهام الصعبة فقام بمحاربة المنشقين، وتمكن من استرجاع ما انسلخ عن جسد الدولة ومملكة محمد بن إبراهيم الزيادي الأولى، واختط الحسين مدينة الكدرا على وادي سهام ومدينة المعقر على وادي ذُوال، وأنشأ العديد من الجوامع والمساجد، ودوّن اسمه على عدد من الأعمدة الرخامية التي كانت توضع على واجهات المساجد كجامع زبيد، ومسجد الأشاعر، ومسجد الرباط بأبْيَن الذي يعتبر أحسن المساجد وأوسعها، وكذلك أقام المنارات الطوال والآبار في المفاوز المنقطعة وبنى الأميال (منار يُبنى للمسافر يهتدي به ويدرك المسافة والفراسخ) على الطرقات، على امتداد المنطقة من حضرموت حتى مكة المكرمة، وكان أول من أنشأ سوراً حول مدينة زبيد، وغدا بهذه الأعمال الحاكم، وهو الشخص الذي تذكر إنجازاته. ولم يزل الحسين على هذه الصورة المرضية والهمة العالية في التصدي للمنشقين والخارجين على سلطة الدولة والإنشاءات المتتالية في مختلف الأماكن حتى وافته المنية عام ٤٠٢ أو ٤٠٣هـ/١٠١١ـ١٠١٢م، ولم تشر المصادر إلى المصير الذي آل إليه مصير ولي العهد عبد الله .

ولعل فى مقدمة ذلك تأديب القبائل المسيطرة على هذا الطريق ، والتـــى كثيراً ما تعتدى على الحاج اليمنى [١١٠] .

طريق عمان مكة امتداد للطريق اليمنى:

وبامكان حجاج عمان اخذ احد الطريقين من اليمن كما هو واضح بالشكل " ":

الأول : عن طريق الحج الساحلي الموازي لساحل البحر الاحمر الذي يمر بعدد من المخاليف والمنازل حتى الشعيبة ثم جدة فمكة.

وذكر "ابن خرداذبه" طريقاً ساحلياً ربط "عمان" بمكة، وهو الطريق الذي سلك في الإسلام. وقد كان جاهلياً ولا شك، لأن الجاهليين والروم وغيرهم كانوا يساحلون العربية الغربية والجنوبية والشرقبة، ويهبطون بعض المواضع التي يذكرها المسلمون كمراحل هذا الطريق. ويبدأ الطريق بعمان، ثم يمر إلى "فرق"، ثم إلى "عوكلان"، ثم إلى ساحل "هباه" "هماه"، ثم الى "الشحر"، وهي بلاد "الكندر"، ثم إلى مخلاف "كندة"، ثم إلى مخلاف "عبد الله بن مذحج"، ثم إلى مخلاف "لحج"، ثم إلى "عدن أبين"، ثم إلى" مغاص اللؤلؤ"، ثم إلى "مخلاف بني مجيد"، ثم إلى "المنجلة"، ثم إلى مخلاف الركب، ثم إلى المندب، ثم إلى مخلاف زبيد، ثم إلى غلافقة، ثم الى مخلاف عك، ثم إلى الحردة، ثم إلى مخلاف حكم، ثم إلى عثر، ثم إلى مرسى ضنكان، ثم إلى مرسى حلي، ثم إلى السرين، ثم إلى أغيار، ثم إلى الهرجاب، ثم إلى الشعيبة، ثم إلى منزل لم يذكر "ابن خرداذبه "اسمه، ثم إلى "جدة" وهي اسلامية،

---

110 – احمد عمر الزيلعى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٧ .

لم تكن في الجاهلية، وإنما ذكرت هنا، لأن هذا الطريق، كان يسلك في الإسلام، ومن جدة إلى مكة([111]).

الثانى : بامكان حجاج عمان اخذ الطريق الداخلي من اليمن الى مكة مرورا بعدد من المنازل بعضها لا يزال معروفا حتى اليوم وصولاً الى مكة. ويوجد بين مكة وحضرموت يمر ب "نجران" و "الضحيان" و "تثليث"، وهو طريق مختصر يكون الجادة إلى حضرموت.

وذكر "الهمداني" إن محجة حضرموت من العبر إلى الجوف، ثم صعدة، وتنضم معهم في هذه الطريق أهل مأرب، وبيحان، والمسّروين، ومرخة، وهذه محجة حضرموت العليا .وأما محجتها السفلى، فمن العبر في شنّز صيهد إلى نجران، ثم من نجران حبونن، ثم الملحات، ثم لوزة، ثم عبالم ثم مريع، ثم الهجيرة، ثم تثليث، ثم جاش، ثم المصامة، ثم مجمعة ترج، والتقت بمحجة صنعاء بتبالة([112]).

إضافة لما سبق ، هناك طريقان من عمان الى مكة احدهما يأخذ من عمان الى يبرين ثم الى البحرين فالساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية ومنها الى اليمامة ثم الى ضرية شكل (٨).

---

111 – ابن خرداذبه ، مرجع سبق ذكر ، ص ٧٥ .

112– الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق/ محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مكتبة الإرشاد – الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.

http://www.archive.org/download/siftjazirt/1575.pdf

وتذكر المصادر الجغرافية ان ضرية كانت ملتقى حجاج البصرة والبحرين وهناك يفترقون اذا انصرفوا من الحج فيأخذ حجاج البصرة ذات الشمال وحجاج البحرين ذات اليمين وهناك طريق اخر من عمان يتجه الى فرق ثم عوكلان ثم الى ساحل هباة وبعدها الي شحر.

شكل (٨) دروب الحج العمانى

وجدير بالذكر يعد الدرب العمانى أو اليمنى أو العراقى أو الشامى ملتقى للدروب المتعددة التى تأتى من شتى أنحاء القارة الآسيوية ، كمـــا هـــو واضح بالشكل (٩)، حيث يشير الخط الأبيض بالـــصورة أعـــلاه إلـــى

مسارات قوافل حجاج أسيا نحو الديار المقدسة في العصور القديمة وقبل بدايات اختراع وسائل النقل الحديثة.

- أما الخط الأصفر فهو طريق الحرير بين شرقي قارة أسيا وقارة أوروبا في العصور القديمة، وتمثل النقاط محطات للقوافل(١١٣).

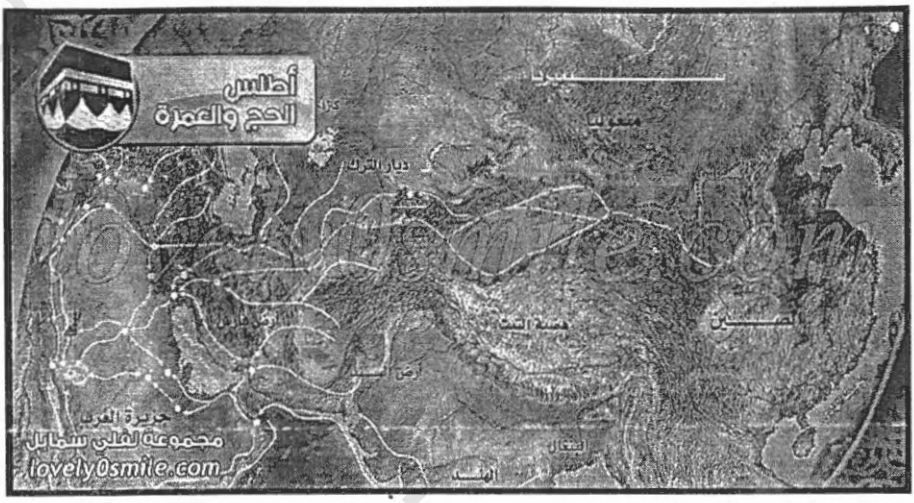

شكل (٩) ملتقى دروب الحج الأسيوى .

113 - للاستزادة فى ذلك أنظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، تجارب الأمم ، مصر ، ١٩١٤م ، الجزء الثانى ، ص ٢١٥ وما تلاها.